المنحى الحضاري في الجغرافيا : ممارسات وآراء

THE CULTURAL APPROACH IN GEOGRAPHY:
PRACTICES AND NARRATIVES

Paul CLAVAL

University of Paris-Sorbonne, France

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

المقدمة

ماذا يقدم النهج الثقافي للجغرافيا ؟ للإجابة عن هذا السؤال ، قمنا بإجراء نوعين من التحليلات :

1- قمنا بفحص البلاغات التسعين المقدمة خلال مؤتمر لجنتنا في ريو دي جانيرو في 10-12 يونيو 2003 ؛

2- قمنا بمقارنة الكتب الحديثة عن جغرافية الثقافة : كتب مايك كرانج (1998) لبريطانيا ، جوليانا أندريوتي (1996-1997) وأدالبرتو فاليجا (2003) لإيطاليا ، بوريس جريسيلون (2002) لفرنسا ودون ميتشل (2000) الولايات المتحدة . المفاهيم التي طورتها شخصيًا كانت بمثابة نقاط معاكسة في هذا التحليل (كلافال ، 1995-2002).

جغرافيو الثقافة في العمل : مؤتمر ريو دي جانيرو

تناول مؤتمر ريو دي جانيرو الأبعاد التاريخية للعلاقات بين الفضاء والثقافة .استكشف بعض الزملاء بشكل مباشر **الطريقة التي تشكل بها الثقافة الوقت والمكان** . اختار معظمهم البدء في البحث الذي يطورونه عادةً لإظهار **كيف تفرض الثقافة علاماتها على المكان والمدة** : تقدم أوراقهم في لمحة عامة عن أشياء وممارسات جغرافية الثقافة المعاصرة .

الثقافة والتمييز النوعي للفضاء

تتناول بعض الاتصالات :

(1) العلاقات بين المجموعات البشرية والبيئة الطبيعية التي تعيش فيها ؛

(2) الأهمية التي يعطونها للكون والأرض والحياة في هذا العالم من خلال المعتقدات الدينية التي يعلنونها والاحتفالات والطقوس التي يؤدونها ؛

(3) إجراءات التنظيم السياسي التي يقومون بتعبئتها .

يكمن اهتمام هذه الدراسات في الرؤى التي تقدمها حول التمييز النوعي للفضاء البشري : بالنسبة لجميع الفئات الاجتماعية ، هناك مجالات يمكن إتقانها وأخرى لا يمكن السيطرة عليها ؛ هناك فضاءات وأماكن دنيسة حيث توجد القداسة ؛ هناك تعارض بين المناطق التي تسمح للعائلات أو المجتمعات بالشعور وكأنها في بيتها ، والأماكن العامة . في المجتمعات الديمقراطية الحديثة ، يعد الفضاء العام مسرحًا للنقاشات السياسية . **بشكل عام ، يتم استخدام الفضاء العام من قبل الأفراد والجماعات لعرض مزاياهم وجذب انتباه الآخرين . إنه بمثابة ساحة لتحديهم** .

الثقافة والفضاء والاتصال

كان دور الاتصال في الحياة الاجتماعية شائعًا بالفعل بين جغرافيي الثقافة في بداية القرن العشرين عندما تم تطوير الاهتمام بعمليات الانتشار المكاني . غالبًا ما يتم تحقيق عمليات نقل التقنيات والمعرفة من خلال الهجرات الدولية ، كما يتضح من تأثير العبيد السود على المجتمع البرازيلي . **مع النمو المعاصر للهجرات الدولية** ، أصبحت المدن الكبرى هي المسارح الرئيسية للعلاقات بين الثقافات .

يشكل الاتصال تجربة المكان والزمان :

(1) في المجتمعات التي يكون فيها الاتصال شفهيًا فقط ، يكون التناقض بين ما هو قريب (مجال الخبرة المباشرة) وما هو بعيد ولا يُعرف إلا من خلال الشهادات ، من ذوي الخبرة القوية .
(2) في المجتمعات التي تستخدم الكلمة المكتوبة ، يتم إنشاء الوقت تاريخيًا والفضاء الجغرافي بفضل السجلات المكتوبة للماضي ، وحسابات السفر ، وبشكل متزايد ، الخرائط ، ولكن دون إضعاف التعارض بين ما هو قريب وما هو خارج من الوصول اليومي .
(3) أدت ثورة الوسائط الحديثة إلى خلق عالم من التزامن والتواجد المشترك ، مع إضعاف أو اختفاء الهياكل الهرمية التي ضمنت الانتقال بين ما كان قريبًا وما هو بعيد .

الثقافة والسياحة

تظهر الدراسات حول السياحة كيف تُبنى صورة "الطبيعة" التي تقوم عليها السياحة . أصبحت الثقافة موضوعًا للاستهلاك ومواردًا : تشكل التقاليد الثقافية رصيدًا مهمًا لدفع السياحة في منطقة ما . غالبًا ما تساعد السياحة المجموعات على إدراك خصوصيات تقاليدهم . ينشأ الانبهار بالثقافات الشعبية أيضًا من فكرة أنهم يتقنون أشكالًا من النمو المستدام .

المدينة والثقافة

يفتح النهج الثقافي وجهات نظر أصلية على المشهد الحضري . غالبًا ما تبقى المواقف الريفية في بعض أجزاء المدن الكبرى . تشكل المجموعات العرقية أو الدينية الأحياء السكنية الأصلية : الحي اليهودي في ريو دي جانيرو أو قرى السكان الأصليين في المدن الأسترالية ، على سبيل المثال . تعلم سكان الحضر استخدام أسواق الأراضي والعقارات كأدوات مضاربة عندما تجاوزت الآفاق التي توفرها قيم الأراضي تلك الخاصة بالأسهم الصناعية ، أو كما في ساو باولو في القرن التاسع عشر ، تلك الموجودة في سوق العبيد .

من "أنواع التنافس" إلى الجغرافيا الإثنية

ما تزال دراسة الأنواع de vie ذات صلة عندما تتعامل مع السكان الذين يتقنون التقنيات الفقيرة فقط : من أجل فهم الامتداد الملحوظ لمجموعة Tupi-Guarani في النصف الجنوبي من البرازيل ، من المهم معرفة دورهم في التدجين وانتشار الكسافا : تمتعوا بإمدادات غذائية أفضل من القبائل الأخرى بفضل هذا النبات . من أجل جرد التقنيات المادية التي تستخدمها الجماعات البشرية ، يقوم العلماء اليوم بتحليل الأدوات الفكرية واللغوية التي يعبئونها من أجل تعزيز فهمهم للبيئات التي يعيشون فيها أو يستغلونها . يظهر المنظور الإثنوغرافي بهذه الطريقة كمكمل للمقاربات القديمة .

بناء الهويات

تتغير مشاعر الهوية عندما تخضع التقاليد المحلية لتحولات مهمة . في المكسيك ، على سبيل المثال ، كانت هناك ثلاث فترات حاسمة في هذا الصدد : القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، والأربعين عامًا الماضية . تحمل المواقف والعادات السائدة اليوم بصمات الماضي : الهويات التي نشأت على الحدود الأمريكية في القرن التاسع عشر أدخلت في الثقافة الأمريكية تقليدًا من العنف . الأحداث الوطنية أو الدولية لها تأثير على الهويات المحلية . تقلبت هويات عموم أمريكا كثيرًا في القرنين التاسع عشر والعشرين اعتمادًا على مواقف الولايات المتحدة تجاه أمريكا اللاتينية . تأثير العولمة يحول تمثيلات الجماعات المحلية لإمكانياتها للتنمية . لمشاركة الهويات ، يجب أن تدرك المجموعات مشاكلها المشتركة . أدى انخفاض تنقل النساء إلى صعوبة بناء هويات نسائية في مجموعات تقليدية ، لكنه لم يمنع ذلك ، كما هو موضح في سيرتاو سيرجيبي بالبرازيل .

الجذور والذاكرة والأراضي

تمنح الهويات الأفراد والجماعات الاتساق الذي لا يمتلكونه بشكل طبيعي وتمنحهم قدرًا من الاستمرارية . غالبًا ما يكون الارتباط الذي طورته مجموعة مع المكان الذي تعيش فيه والتي تعده خاصًا بها هو الأصل الرئيسي لاستقرارها الرمزي : ومن هنا تأتي أهمية الجذور والذاكرة والأقاليم في جغرافية الثقافة . عندما تقطع الهجرة الروابط المنسوجة على طول الوقت مع المكان الذي عاش

فيه الناس ، فإن الحاجة إلى استعادة هذه العلاقة رمزياً تكون شديدة ، كما يتضح من الأمثلة الأرجنتينية . قد يتجسد الميراث الذي يعطي معنى لحياة الأفراد والجماعات في أرض عذراء ، ويتم التعبير عنها من خلال الأعياد أو طبعها في المظاهر الارضية الحضارية العامية أو الضخمة .

بناء الأماكن بأسماء وصور وروايات

تناولت العديد من الوثائق التي قُدمت خلال مؤتمر ريو دي جانيرو الكلمات والتمثيلات . في السفر أو الروايات الجغرافية ، يظهر الفضاء بشكل أساسي كنسيج من الأسماء . على سبيل المثال ، في دالماتيا ، يمنحهم استخدام الأسماء الأجنبية لتعيين الأماكن السياحية هالة جديدة . يعود بناء الأماكن من خلال الروايات إلى وقت طويل جدًا في تاريخ الأدب ، أصبحت أكثر أهمية مع الاستعمار . تكشف الرسوم الكاريكاتورية وروايات الشباب عن طرق جديدة لإدراك الأماكن القديمة أو المظاهر الارضية . تلعب الأفلام دورًا مهمًا في نشأة التصورات المعاصرة . تقدم المقارنة بين خطط إعادة إعمار مركز التجارة العالمي الذي تم تدميره في 11 سبتمبر 2001 نظرة رائعة على البعد الرمزي لهذا القطاع من مانهاتن السفلى .

لمحة عامة عن ممارسات المقاربة الثقافية في الجغرافيا

قدم مؤتمر ريو دي جانيرو فكرة جيدة عن البحث الذي يتم تطويره حاليًا في المجال الثقافي . المواضيع القديمة ما تزال حية : جزء من البحث المعاصر يتعامل دائمًا مع التمايز الثقافي للفضاء من خلال التقنيات المادية . ومع ذلك ، فإن الموضوعات والأساليب تتغير بسرعة . بالنسبة للعديد من الزملاء ، يعد النهج الثقافي مكونًا ضروريًا لاستراتيجياتهم البحثية ، حتى لو كانت اهتماماتهم المركزية تكمن في مكان آخر : **تتأثر المشكلات الاجتماعية أو الحضرية أو السياسية أو الاقتصادية أو تتشكل من خلال السياق الثقافي الذي تتم ملاحظتها فيه** .

أنثروبولوجيا الفضاء آخذة في الظهور: فهي تؤكد التناقض بين ما هو خاص وما هو عام ، وما هو دنس وما هو مقدس ، بين الجوانب المحلية للحياة وتلك التي تسمح للأفراد أو الجماعات بالتعبير عن أنفسهم والمشاركة في المنافسة من أجل الإقرار العام والمكانة . **الفضاء ، كما تم تحليله بواسطة الدراسات الثقافية ، مليء بالتاريخ** . تختلف الذاكرة الحية للمجتمعات التي تعتمد حصريًا على الشفهية عن الذاكرة التاريخية للمجتمعات القائمة على الكلمة المكتوبة . في المجتمعات العالمية التي ولدت من ثورات النقل السريع والاتصالات ، فقدت البيئات المحلية جزءًا من المعنى الذي كانت تتمتع به في الماضي . السكان أكثر حساسية للتواجد العالمي المشترك للثقافات التي أنشأتها الظروف الجديدة للنقل والاتصالات أكثر من حساسية رسائل التقاليد المنقولة عبر المظاهر الارضية .

روايات عن المقاربة الثقافية في بعض الكتب المدرسية الحديثة

ما هي طبيعة المجال الثقافي وما مداه ؟

تبدأ الكتب الحديثة في جغرافية الثقافة من التفكير في طبيعة الثقافة ومداها . كما يفهم من قبل العلوم الاجتماعية والجمهور المتعلم ، تم تقديم مصطلح الثقافة في البداية من قبل علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الأعراق الألمان في أواخر القرن الثامن عشر . تم تبنيها من قبل Tylor في عام 1871 واستخدمت بشكل متزايد في العالم الناطق باللغة الإنجليزية منذ نهاية القرن التاسع عشر . وفي فرنسا ، حيث فضل الناس التحدث عن الحضارة ، أصبح الأمر مألوفًا في نهاية الحرب العالمية الثانية . في هذا المعنى الواسع ، **تتكون الثقافة من كل ما لم يولد في البشر** . فهو يجمع بين العناصر المادية - المصنوعات اليدوية - والعناصر المعرفية - التي يسميها بعض الناس عقلية . بالنسبة لأولئك الذين يقبلون هذا المفهوم للثقافة ، يأتي الإلهام في المقام الأول من الأنثروبولوجيا وتاريخ التقنيات .

بالنسبة للآخرين ، للثقافة معنى أكثر تقييدًا : فهي بالأحرى مصنوعة من مصنوعات ذهنية أكثر منها مصنوعات يدوية . الحديث عن الثقافة هو التأكيد على الملكات الفكرية للأفراد وأنظمة الإشارات التي يستخدمونها للتواصل . تصبح الأهمية المعطاة للحديث والروايات والصور ضرورية . يأتي الإلهام من علوم اللغات (علماء اللغة ، السيميائية ، إلخ) والعلوم الإنسانية .

الطريقة الثالثة لتصور الثقافة ما تزال أكثر تقييدًا : فهي تركز على المصنوعات اليدوية والعقلية المتعلقة بالنشاط الفني . في المجتمعات الحديثة ، تهتم المؤسسات الثقافية بشكل أساسي بهذا الشكل من الثقافة : فهي مكونة من المتاحف والمكتبات والمسارح ودور الأوبرا وخدمات الحفظ التاريخية ، إلخ .
الإبداع هو السمة الأساسية للثقافة لأولئك الذين يتبنون هذا المفهوم. إنهم يتطلعون إلى تاريخ الفن والأدب للإلهام .

الثقافة كتعبير فني وفكري

في مقالته عن برلين كعاصمة للثقافة ، ركز بوريس جريسيلون على إبداعها الفني (جريزيلون ، 2002) كانت هناك مراحلا مختلفة في تطورها الثقافي : فترة طويلة من الإعداد ، من القرن السابع عشر إلى أوائل القرن العشرين ، عندما جمعت الملكية البروسية المؤسسات الثقافية - المتاحف والمسارح ودور الأوبرا ، إلخ ؛ ظهرت فترتان خلال برلين كمركز ثقافي على المستوى العالمي : جمهورية فايمار ، والسنوات العشر التي تلت سقوط الجدار . فيما بينهما ، ألقى النظامان النازي والشيوعي بظلاله على إبداع المدينة . تعد دراسة بوريس جريسيلون مثالًا رائعًا لما يمكن كتابته عن صعود وانحطاط وانبعاث المراكز الثقافية الكبرى . ومع ذلك فهي لا تغطي سوى جزء من المجال الثقافي .

الإلهام الروحاني لجوليانا أندريوتي

طور الجغرافيون الإيطاليون مؤخرًا اهتمامًا قويًا بالدراسات الثقافية . تم إعداد هذا الفضول بالتأكيد من خلال عراقة وثروة التفكير الإيطالي فيما يتعلق بـ beni Culturali والميراث الضخم والفني بالإضافة إلى المظاهر الارضية المشبعة بالتاريخ . تصر جوليانا أندريوتي على تحليل المظاهر الارضية وتتخذ كنموذج ورقتين ليمان على بحيرة غاردا وتوسكانا (أندريوتي ، 1996 ؛ ليمان ، 1949 ؛ ليهامان ، 1970) تقبل جوليانا أندريوتي مواقفه : "يُنظر إلى المظهر الارضي ، كما تقدم نفسها بشكل ظاهري ، على أنها كلية فردية تتمتع بأشكال ، مع صورة منظمة داخليًا ، وبالتالي ، كما يتضح من التعريف الأساسي الذي قدمه ليمان ، الذي تأسس على" طبيعة المشهد الطبيعي "(مولر ، 1986 ص 1).
الهدف من نهجه هو إبراز "سبب وجود المظاهر الارضية ، وسبب وجود ثقافتها ، والتي تتطابق مع ظهور نزعتها الإنسانية بفضل " بحث وثيق الصلة بين البيئة وتاريخها" . تمامًا كما تعد Grésillon Andreotti الثقافة هي الجزء الأعلى من النشاط البشري ، لكنها ركزت على تناغم المظاهر الارضية أكثر من التركيز على النشاط الإبداعي .

دور الروايات في جغرافية مايك كرانج

لدى بوريس جريزيلون وجوليانا أندريوتي مفهوم محدود عن المجال الثقافي . يطور مايك كرانج منظورات أوسع . يصر على المظاهر الارضية ومعانيها الرمزية . يتعمق في دور الروايات في تشكيل الحقائق التي يدركها الناس . يستفيد من دراسة دينيس كوسجروف حول أيقونات المظاهر الارضية . يشارك بيتر جاكسون اهتمامه ببناء الأشياء الجغرافية من خلال الروايات . تبرز أصالة نهج مايك كرانج في الفصول المتعلقة بالبناء الثقافي للاستهلاك أو ثقافات الإنتاج : فجغرافية الثقافة لمايك كرانج ليست فقط جزءًا متخصصًا من تخصصنا . إنه يؤدي إلى إعادة تنظيم كاملة لمجال مثل الجغرافيا الاقتصادية . **إنه يبدأ نهجًا نقديًا لنظرية المعرفة للجغرافيا** .

دور الروايات في :Adalberto Vallega العلامات والرموز والاستعارات . يتبنى Adalberto Vallega في كتابه إلهامًا سيميائيًا إلى حد كبير ، يحاول فك رموز الرسائل التي تدوّنها الإشارات والرموز في الفضاء . بالنسبة له ، **الثقافة مكونة من عالم من الرموز**: "إن إنتاج الرموز [يصبح] نشاطًا فكريًا ، يُنظر إليه في ضوء السياق الاجتماعي ، على تشكيل الثقافة . وعلى أساس هذا النموذج ، يحتفظ علماء الأنثروبولوجيا الثقافية بأن الأنواع البشرية كانت موجودة قبل الثقافة

وتطورت من خلال قدرتها على استخدام الإنتاج الرمزي وعلى نحو أفضل إنها مصنوعة من اللغة والمعتقدات وقواعد السلوك وما إلى ذلك ، أصبحت الثقافة بهذه الطريقة حقيقة في حد ذاتها ، تحدد نفسها وتغذيها ، وبالتالي توجد بشكل مستقل عن المجتمع نفسه لأنها مكونة من تراث من الرموز والمعاني الذي ينتقل من جيل إلى جيل ، يتراكم وينتشر ، ويتغير ليس فقط فيما يتعلق بالدوافع القادمة من المجتمع البشري نفسه ، ولكن أيضًا بسبب قوته وحيويته الذاتية "(المرجع نفسه).

على هذا الأساس ، يفسر Vallega **الأماكن** على أنها تقاطع بين الطبيعة والمجتمع والسمو . يقترح قراءة دقيقة للمظاهر الارضية ، والتي تصورها كنوافذ عاطفية تعبر عن مكان العبقرية . إنه يعارض التحليل الجغرافي للمظاهر الارضية ، حيث تعطى الأولوية للمنطق المادي للأماكن ، وتحليلها الثقافي ، وهو "تمثيل الطريقة التي يبرز بها الموضوع نفسه في الواقع ، لوجوده في العالم ، بالمعنى الهايدجي للمصطلح: [إنه] تمثيل يتكون من إشارات ذات دلالات فكرية وروحية قوية ، توحد الذاكرة والمشروع ، الماضي والمستقبل ، الوجود ، الطبيعة ، المجتمع ، التعالي " .

المفاهيم "الثورية" لدون ميتشل

لا أحد قادر على البقاء غير مبال بالكتاب الذي نشره دون ميتشل في عام 2000. إنه يحمل في كل مكان علامة شخصية عاطفية تحلم بإعطاء محتوى ثوري للنهج الثقافي . بسبب كرم التزامه ، قد يُسامَح عن أوجه القصور التي قد تستبعده : إهماله للثقافات التي لا تعتمد على اللغة الإنجليزية على سبيل المثال . دون ميتشل ماركسي . هذه الحقيقة لها نتيجتان :

(1) الأهمية المادية مهمة : حتى لو كانت الثقافة مكونة من رموز وعلامات وروايات وتمثيلات وما إلى ذلك ، فإن الإفراط في التركيز عليها أمر خطير لأن الكلمات والصور تشير إلى حقائق مادية واجتماعية حقيقية لم تفعل ذلك أبدًا .

(2) دون ميتشل ينتقد بشدة أولئك الذين يركزون جغرافية الثقافة على الفرد ، وحساسيته ، وتفضيلاته : الثقافة هي حقيقة اجتماعية .

يرفض دون ميتشل إعطاء تعريف دقيق للثقافة ، لكن أمثلة تظهر أن مفهومه واسع للغاية : فهو يشمل كل ما اكتسبه البشر . ما هو أكثر أهمية بالنسبة له هو فكرة أن النهج الثقافي يجب أن يركز على الحروب الثقافية : "إن أمثلتي مستمدة إلى حد كبير [...] من عالم التجربة الاجتماعية الذي يجب أن يسمى" **حروب الثقافة** ". الحروب الثقافية هي تلك المعارك حول معنى وهيكل العلاقات الاجتماعية [...] والمؤسسات [...] والمساحات [...] التي تحكم حياتنا "(ميتشل د. ، 2000 ، ص 16).

ولأن الحروب الثقافية يتم خوضها من خلال استخدام الكلمات والصور ، فإن التمثيلات مهمة جدًا للنهج الثقافي . تحدث المعارك تحليلات دون ميتشل في معظم الأوقات في الأماكن العامة حيث يحاول الناس التعبير عن قناعاتهم من أجل الاعتراف بهم من قبل الآخرين . يؤكد دون ميتشل على المبادئ الثورية لكنه لا يظهر دائمًا على أنه راديكالي . في مقاربته ، يظهرون كعنصر من عناصر الخطاب الماركسي : المشهد الاجتماعي هو ساحة يتصارع فيها الخير والشر بشكل دائم . لا يمكن أن ينجم التقدم إلا عن إراقة الدماء من قبل أولئك الذين يقاتلون من أجل القضية الصحيحة .

مقارنة

من المثير للاهتمام مقارنة العمل الميداني والمبادئ التي وضعها منظرو النهج الثقافي . تم التأكيد على دور العلامات والرموز والسرد من قبل الجميع : إنها واحدة من أكثر التوجهات الأصلية للجغرافيا المعاصرة . على الرغم من تنوع الثقافات ، يمكن استخدام الفئات المفاهيمية الواسعة بكفاءة لتحليلها : الفضاء المحلي مقابل الفضاء الجماعي ، الخاص مقابل العام ، الدنس مقابل المقدس ، مجالات التعبير مقابل الفضاء الخالي من الملامح . يقدم النهج الثقافي بهذه الطريقة أنثروبولوجيا الفضاء .

التحول الثقافي في الجغرافيا

السماح للواقع الثقافي يثري الجغرافيا : العملية تحول النظام بأكمله . النهج الثقافي يدمر مفاهيم الفضاء التي سادت لفترة طويلة بين الجغرافيين وتقدم مفاهيما جديدة .

المفاهيم السائدة للفضاء في الجغرافيا البشرية حتى السبعينيات

- قدم جان برونز في La Géographie humaine عرضًا واضحًا للمفهوم "الإيجابي" للجغرافيا :(Brunhes 1910) كان على النظام فقط أن يصف الفضاء على أنه ناتج عن العمليات الطبيعية والفعل البشري . لم يقترح أي تفسير لتحليل للمظاهر الارضية والأنماط المبنية . لقد تعمقت فقط عندما ربطت تطور الأنماط التي اكتشفها .

- بالنسبة للمنظور البيئي ، الذي تطور أيضًا في نهاية القرن التاسع عشر ، كان الهدف مختلفًا . يتكون الفضاء الأرضي من عنصرين ، (1) البيئة و (2) الكائنات الحية التي سكنتها واستمدت طعامها منها . أعطى التمييز بين هاتين المجموعتين من العناصر وظيفة تفسيرية للجغرافيا ، ولكن في موقف حتمي .

- استند تحليل أنواع الحياة إلى النظرة الإيكولوجية للفضاء ، لكنه أظهر أن العلاقات بين الإنسان والبيئة تطورت نتيجة للقدرة البشرية على ابتكار تكنولوجيات جديدة والتخلص من القيود المحلية من خلال التجارة مع مناطق أخرى . ظل هذا المفهوم المحتمل ، بتركيزه على التكنولوجيا والتداول ، سائدًا حتى الخمسينيات من القرن الماضي .

- ركزت المناهج الاقتصادية التي ظهرت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي على تحليل شكلين من التدفقات في العمل على الأرض: (1) تدفقات الطاقة والمواد التي درستها البيئة و (2) التدفقات الاقتصادية بين المنتجين و المستهلكين . تم تحليل الفضاء على أنه موقع الموارد الاقتصادية وكعائق أمام نقل البضائع ونقل المعلومات . أوضحت الجغرافيا الجديدة بهذه الطريقة تنظيم الفضاء . كرست المناهج الطبيعية في بداية القرن العشرين اهتمامًا كبيرًا بالمظاهر الارضية ، لكنها لم تكن قادرة على تفسير الأنماط التي لاحظوها . كان للجغرافيا الجديدة قوة تفسيرية حقيقية ، لكنها تصورت الفضاء بطريقة مجردة . لقد تحدثت عن الموارد ، والمرافق ، والشفافية ، ولكن ليس عن الأشياء الحقيقية والأشخاص . **النهج الثقافي أكثر توازنا** .

الثقافة واثراء نظريات التنظيم المكاني

1- كيف نعيد للجغرافيا قبضتها على الواقع الملموس دون حرمانها من قوتها التفسيرية؟ عن طريق تغيير الفرضيات المتعلقة باتخاذ القرار في النظريات التي تستخدمها . في النماذج التي استعارتها الجغرافيا من الاقتصاد ، كان البشر عقلانيين تمامًا ويتمتعون بوصول مجاني وشامل إلى المعلومات على الساحة الاقتصادية . أليس من الأفضل عد أن البشر لديهم فقط رؤية محدودة للفضاء؟ كل شخص يدور في ذهنه رسم تخطيطي وخريطة إرشادية للمناطق والأشياء التي يعرفها . في منطقة حضرية ، تتمتع الخرائط الذهنية عمومًا ببعد قطاعي نظرًا لأنها ناتجة عن الرحلات اليومية من الضواحي حيث يعيش الناس إلى المركز الذي يعملون فيه . نظرًا لأن هذه الخرائط يتم وضعها داخل المجتمعات ، فإن القيم التي يعطيها الأفراد لمواقع مختلفة تعكس التفضيلات الجماعية لمجموعتهم ، والأماكن التي تعد مركزية بالنسبة لهم . ماذا يحدث عندما تبدأ حصة كبيرة أو مجموع مجموعة ما في تقييم مكان لأسباب غير اقتصادية؟ يتغير شكل المدينة بأكملها ، كما أوضح جان فرانسوا ستازاك في دراساته عن نبوءات تحقق ذاتها في الجغرافيا .

2- جميع أجزاء الخرائط الذهنية ليس لها نفس الطبيعة : بالنسبة لجين لابونس ، فهي تتمحور حول نقاط تختلف عن الأجزاء الأخرى لأن القيمة المرتبطة بها رمزية (Laponce J.، 1984). يشرح هذا الهيكل ديناميكيات المساحات الحضرية عندما تسكنها مجموعتان (أو أكثر). في مونتريال ، كان التعايش بين السكان الناطقين باللغة الإنجليزية والمتحدثين باللغة الفرنسية سلميًا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر: في ذلك الوقت ، كانت المجموعة الناطقة باللغة الإنجليزية فخورة بمنطقة الأعمال المركزية التي أثبتت قدرتها على تنظيم الإمبراطورية الكبيرة ، في حين أن الكنديين الفرنسيين تعرفوا بكنيسة الحي السكني أو الرعية الريفية التي أتوا منها . تغيرت العلاقة بين المجموعتين في بداية القرن العشرين عندما أصبحت نقاط رسوهم ، التي ما تزال متميزة ، تقع في

الجزء الأوسط من المدينة . ظهرت النزاعات عندما توقف المجتمع الفرنسي الكندي عن كونه مجتمعًا كاثوليكيًا في الأساس : تركزت خرائطه العقلية لأول مرة على الرموز السياسية والاقتصادية : من أجل العيش في مدينة فرنسية كندية ، كان على مركزها استخدام اللغة الفرنسية والتعبير عن القيم الفرنسية .

نشأة الرمزية والاختلاف النوعي للفضاء

يسمح كل نظام اتصال بتطوير العلاقات ضمن نطاق معين . وراء هذه الدائرة ، هناك مجالات مغلقة أمام البشر:

(1) السحيق في المجتمعات الشفوية البحتة ؛

(2) ما هو سماوي أو عقلاني أو طوباوي في مجتمعات الكلمة المكتوبة ؛

(3) مراكز البحث التي تعمل دون أي قيود اجتماعية واقتصادية في المجتمعات المعاصرة .

ومع ذلك ، يتمتع بعض الأشخاص بامتياز الحصول على معلومات عن هذه العوالم الأخرى : فهم مستكشفون فكريون أو أنبياء دينيون . وجهات النظر التي يكتشفونها تعطي معنى للحياة الفردية أو الجماعية وتظهر ما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون . "الحقائق" المكتشفة بهذه الطريقة هي "واقعية" أكثر من تلك الموجودة في هذا العالم لأنها تتعلق بعالم من الجواهر . ينتج الاختلاف النوعي للفضاء عن الاعتقاد المشترك على نطاق واسع في التواصل مع عوالم أخرى . نتيجة لذلك ، بعض المناطق لديها فقط الصفات التافهة للعالم الدنيوي بينما البعض الآخر محمّل بالقداسة الناتجة عن قربهم من العالم الآخر.

الفضاء والتعبير الفردي والاجتماعي

بمجرد أن يقبل الجغرافيون دمج الأبعاد الرمزية للأشياء والكائنات والبيئات في تحليلاتهم ، تتغير مهمتهم لسببين :

1) تتوقف الخصائص الموضوعية للأشياء والأماكن والأشخاص عن أن تكون العناصر المهمة الوحيدة للأفراد أو الجماعات : إن البعد الرمزي هو العنصر الأساسي . لم يعد الفضاء مجرد موقف محايد أو سهل النقل و رتيب . تصبح الواجهات ، حيث يمكن كتابة الرسائل والعلامات والرموز ، من نواح كثيرة أكثر أهمية من الأشياء أو الأماكن الحقيقية . لا يوجد البشر إلا بقدر ارتباطهم بكيان رمزي : يحتاجون إلى هويات . غالبًا ما يتم التعبير عن هذا المسعى من خلال المشاعر الإقليمية : يعرّف الناس أنفسهم على نصب تذكاري أو مظهر ارضي أو مكان يراق فيه البعض دمائهم من أجل الجميع .

2) الحقائق التي يدرسها الجغرافيون البشريون بناها البشر . إنها دائمًا ما تتضمن بُعدًا رمزيًا . إنه السبب الذي من أجله يجب إعادة بناء النظام بأكمله : لا يوجد واقع يمكن وصفه بأنه اقتصادي ، وسياسي ، واجتماعي ، وحضري ، وريفي ، وما إلى ذلك ، إلى الأبد . **نحن دائمًا نرى العالم من خلال الفئات التي هي منشآت ثقافية .**

يقود النهج الثقافي الجغرافيين إلى تطوير موقف نقدي فيما يتعلق بالمفاهيم التي يستخدمونها : يجب تفكيك المفاهيم بشكل منهجي .

الخلاصة

إنها لفكرة جيدة أن ينظر الجغرافيون إلى الثقافة كونها مجمل ما تم تعلمه . إنه يشمل كل ما يجب على الناس حفظه واستيعابه من أجل إيجاد طرقهم ، واستغلال البيئات التي يعيشون فيها ، والتواصل وبناء المنظمات الاجتماعية . تتكون هذه المجموعة أساسًا من مصنوعات ذهنية ، والتي لا يمكن ، مع ذلك ، فصلها عن المصنوعات اليدوية التي تسمح بالحمل والاستخدام . باستخدام صورة أخرى ، يهتم النهج الثقافي بالبرمجيات التي أنشأها البشر ، لكن هذا البرنامج لديه فهم للواقع المادي ، على الأجهزة . وبالتالي ، فإن أول سمة للنهج الثقافي هو التذكير بأنه من المستحيل الفصل بين تحليل الحقائق المادية ودراسة التمثيلات .

يجب أن تركز الجغرافيا الحديثة على العمليات . يدرس أولاً توزيع المعرفة والمعتقدات ، ويحلل الطريقة التي يتم بها بث المعلومات ويؤكد على دور الرموز في تقوية روابط المجموعات غير المؤكدة بشأن هويتها . الثقافة الناتجة عن التواصل تختلف بالضرورة باختلاف المكان والزمان يؤدي التأكيد على التواصل بشكل واضح إلى التركيز على التمثيلات والروايات والصور ، ولكن دون إهمال الحقائق المادية التي تصورها وحقيقة أن الفضاء الثقافي منظم بشكل أساسي من خلال الطرق والخطوط والشبكات .

النهج الثقافي له بُعد زمني أساسي : فهو يوضح كيف يتلقى الناس ميراثًا من الماضي ، ويثريه من خلال تجربتهم الحالية ويحاولون إعطاء معنى لحياتهم من خلال إسقاطها في المستقبل . **إن بناء الذات وتنمية الشخصية هما موضوعان مهمان في هذا المنظور** . يجب دائمًا الاستيلاء على الفرد في علاقته بمجموعته : العالم الذي يمسك به الطفل تتشكل بالفعل من الكلمات ، النظرة التي يتلقاها من والديه وجيرانه : الإدراك مشروط بالمجتمع الذي يعيش فيه . نتيجة لذلك ، فإن المقاربة الثقافية ليست أبدًا نهجًا فرديًا : فالواقع الاجتماعي حاضر بشكل دائم في حياة البشر ، لأنهم يتلقون أدواتهم اللغوية والفكرية من مجموعتهم.

تستكشف العمليات التي يستكشفها النهج الثقافي الاهتمام في الوقت نفسه ببناء الذات وإضفاء الطابع المؤسسي على المجتمع . الفضاء ليس موقفًا محايدًا أبدًا ، لأنه يسمح بتقسيم الحياة إلى فترات متوالية من العزلة والعلاقات الاجتماعية . يتم إضفاء الطابع المؤسسي على الفضاء على أنه عام أو خاص ، مدنس أو مقدس ، أو كمكان للتباهي حيث يؤكد الأفراد والجماعات على أوضاعهم .

يتضمن تحليل العمليات الثقافية البعد المعياري للحياة البشرية : يضع الأفراد خططًا للمستقبل ؛ يسعون جاهدين من أجل المثل العليا . يبحثون لتعزيز عقيدتهم ومعتقداتهم ومصالحهم . إن تطوير المنظور الثقافي لا يؤدي فقط إلى تجديد فصل معين من الجغرافيا - جغرافية الثقافة . كما أنه يفتح الطريق أمام مراجعة الأسس المعرفية للنظام بأكمله وإعادة هيكلة محتواه . الحدود بين الجغرافيا الاقتصادية والجغرافيا السياسية والجغرافيا الاجتماعية ، إلخ ، ليست هي نفسها في كل مكان ، **يتغيرون مع مرور الوقت** . هم متعلقون بثقافات معينة . في الجغرافيا الاقتصادية ، يعبر الطلب دائمًا عن مجموعات معينة من القيم ، وتطور الشركات أنماطًا معينة من العلاقات لأنها تولد ثقافاتها الخاصة . تتخلى الجغرافيا السياسية عن الافتراضات المتعلقة بالسيادة التي استخدمتها منذ جيل مضى : فقد كانت مفيدة لأشكال الأنظمة السياسية التي ولدت في أوروبا الغربية في القرن السابع عشر ؛ اليوم يفقدون أهميتهم . في الوقت نفسه ، تتوقف المعرفة الجغرافية عن الظهور على أنها امتياز مخصص فقط للمجتمعات التي شاركت في المغامرة الغربية منذ العصور القديمة . **تنتج جميع المجموعات البشرية أنظمة للمعرفة الجغرافية ، والتي تستحق الدراسة : يتم استكشافها اليوم بواسطة الجغرافيا الإثنوغرافية**.

REFERENCES

Abreu M. (ed.), 2003, *Historical Dimensions of the Relationships Between Space and Culture*, Rio de Janeiro Conference, 10-12/06/2003, Rio de Janeiro, IGU (Commission on the Cultural Approach in Geography).

Andreotti G., 1994, *Riscontri di geografia culturale*, Trento, Colibrí.

Andreotti G., 1996, Paesaggi culturali. Teoria e casi di studio, Milano, Unicopli.

Brunhes J., 1910, *La Géographie humaine*, Paris, Alcan.

Claval P., 2003, *Géographie culturelle*, Paris, Armand Colin, 1ère édition, Nathan, 1995.

Crank M., 1998, *Cultural Geography*, London, Routledge.

GrésilloN B., 2002, *Berlin, métropole culturelle*, Paris, Belin.

Laponce J., 1984, *Langue et territoire*, Québec, Presses de l'Université Laval. Lehman H. 1949, "Die Gardasee und sein Jahr", *Die Erde*, v. 1, p. 46-59 Lehman H., 1970, "Toskanische Landschaft", *Neue Deutsche*, n. 17, p. 66-82.

Mitchell D., 2000, *Cultural Geography. A Critical Introduction*, Oxford, Blackwell.

Müller R., 1986, "Die Physionomie der Landschaft als Thema geographischer Forschung bei Herbert L.", Lehmann H. (études réunies par Anneliese Krenzlin et Renate Müller), *Essays zur Physiognomie deer Landschaft*, Erdkundliche Wissen, n. 83, Stuttgart, Franz Steiner, p. 7-26.

Staszak J.-F., 1999a, "Les prophéties auto-réalisatrices", *Sciences Humaines*, n. 94, May, p.

42-44.
Staszak J.-F., 1999b, "Détruire Detroit. La matrice culturelle de la crise urbaine", *Annales de Géographie*, May-June, pp. 277-299.
Staszak J.-F., 2000, "Prophéties autoréalisatrices et géographie", *L'Espace Géographique*, v. 29, n. 2, 16.
Vallega A., 2003, *Geografia culturale. Luoghi, spazi, simboli*, Torino, Utet.